ISSN : 2543-3822
2016

الكلم

AL KALIM

دوريّة محكّمة تصدر عن مختبر اللهجات ومعالجة الكلام
جامعة وهران1- أحمد بن بلّة -الجزائر

تجدون في هذا العدد:

- أثر الانزياحات في تنشيط اللّغة السّردية — الاستعارة واللّغة، والإبداع — أ.د عبد المالك مرتاض
- الخصوصيات اللغوية للهجة وهران — أ.د. عبد القادر شارف
- التفاعلات اللغوية في الخطاب الصحفيّ الجزائريّ — د. محمد بسناسي
- ضمائر الرفع المتصلة في ديوان العصف المأكول — دراسة دلالية — د. إبراهيم أحمد سلاّم الشيخ عيد
- المعجم الصوفي والدلالي في قصائد سيدي لخضر بن خلوف المستغانمي — د.حمو عبد الكريم
- إحياء التّراث الصوفي واللّغوي الجزائري المخطوط والمجهول — أ.معانو بو وشمة

العدد - 02
ديسمبر 2016
منشورات مخبر البحث: اللهجات ومعالجة الكلام
دار هومة للطباعة والنشر

الكلم

مجلّة دوريّة محكّمة تصدر عن مختبر
اللّهجات ومعالجة الكلام
جامعة أحمد بن بلّة 1- وهران-الجزائر

العدد: 02/ 2016

مدير المجلّة: **أ.د. مكي درار**
رئيس التّحرير: **أ.د. سعاد بسناسي**

هيئة التّحرير:
أ.د. عبد القادر شارف
أ. تازغت بلعيد
د. الميلود منصوري
أ. فاطمة بن عدّة
د. نورالدّين زرّادي
أ. هشام رحّال
د. زهرة عابد

ISSN: 2543-3822
الإيداع القانوني: **ديسمبر 2016**

منشورات
مختبر اللهجات ومعالجة الكلام
جامعة وهران 1- أحمد بن بلة – الجزائر.

طباعة

.....
للطباعة والنشر

الكَلِمْ

مجلّة دوريّة محكّمة تصدر عن مختبر اللّهجات ومعالجة الكلام
جامعة وهران1 - أحمد بن بلّة - الجزائر

الهيئة العلميّة والاستشاريّة

أ.د.مكّي درّار	جامعة وهران1/أحمد بن بلّة
أ.د.عبد الملك مرتاض	جامعة وهران1/أحمد بن بلّة
أ.د.محمّد البشير بويجرة	جامعة وهران1/أحمد بن بلّة
أ.د.مختار حبّار	جامعة وهران1/أحمد بن بلّة
أ.د.محمّد ملياني	جامعة وهران1/أحمد بن بلّة
أ.د.سطمبول ناصر	جامعة وهران1/أحمد بن بلّة
أ.د.خليفة صحراوي	جامعة باجي مختار/عنّابة
أ.د.عمّار ساسي	جامعة سعد دحلب/البليدة
أ.د.محمّد بوعمامة	جامعة الحاج لخضر/باتنة
أ.د. سيدي محمّد بوعياد دبّاغ	جامعة الجزائر2
أ.د.صالح بلعيد	جامعة مولود معمريّ/تيزي وزّو
أ.د.عبد القادر شارف	جامعة حسيبة بن بوعلي/الشلف
د.حاكم عماريّة	جامعة مولاي الطاهر/سعيدة
د.يحي بوتردين	جامعة غرداية
د.رمضان حينوني	المركز الجامعيّ تمنراست
د.آيت مختار حفيظة	جامعة آكلي محند الحاج/البويرة
أ.د.عبد الله العبد الله	جامعة دمشق/سوريا
أ.د. خالد علي حسن الغزالي	جامعة صنعاء/اليمن
أ.د.محمّد بن هادي علي الشّهري	المملكة العربيّة السّعوديّة
أ.د.عبد الرّزاق مجدوب	المملكة المغربيّة/مرّاكش
أ.د.أحمد الجوّة	تونس
د.محمّد بسناسي	جامعة ليون2/فرنسا
د. سلوى عثمان أحمد محمّد	جامعة النيلين/السودان
د. حسام عزمي العفوري	الأردن
د. محمد راشد الندوي	الهند
د. إبراهيم أحمد سلّام الشيخ عيد	جامعة غزة/فلسطين
د. فرانسيسكو مسكسو	الجامعة المستقلّة مدريد/إسبانيا

توجه المراسلات :majalatalkalim@gmail.com

الكَلِمْ

مجلة دورية محكمة تصدر عن مختبر اللهجات ومعالجة الكلام
جامعة أحمد بن بلة 1- وهران-الجزائر

العدد: 02/ 2016

قواعد النّشر:

ترحّب مجلّة (الكلم) التّي تصدر عن مخبر (**اللّهجات ومعالجة الكلام**) بنشر كلّ بحث علميّ، يهتمّ بالفصحى في علاقاتها التّكامليّة وصلاتها التّمايزيّة باللّهجات الجزائريّة والعربيّة والإفريقيّة والعالميّة الإنسانيّة، واستبطان مواطن التّأثّر والتّأثير وعلّة ذلك، وخلفيّاته السّوسيوثقافيّة، والسّوسيولسانيّة، والأنثربولوجيّة.

كما تهتمّ المجلّة بكلّ البحوث العلميّة المهتمّة بالتّراث والثّقافة الشّعبيّة، وصلتها باللّهجة في الموضوعات الآتية:

الأمثال الشّعبيّة والحكم، الأقوال المأثورة، الشّعر الشّعبيّ والملحون، الألغاز الشّعبيّة، البوقالات، التّعابير اللّهجيّة المتداولة في مختلف المناسبات الجزائريّة، تعابير النّساء في مجالات معيّنة، وتعابير الرّجال في حالات معيّنة، ومواطن تأثير المهن والوظائف والحرف على تعابير أصحابها، وتداول اللّهجة في المجال التّعليميّ والإعلاميّ ومواقع التّواصل الاجتماعيّ، وكذا في مختلف الفنون الأدبيّة والتّمثيليّة والمسرحيّة.

تنشر المجلّة وترحّب مجدّدا بكافّة الأساتذة والباحثين الرّاغبين في المشاركة ببحوثهم العلميّة في المجالات المذكورة سلفا، وتقبل النّشر وفق الشّروط الآتية:

- أن يتميّز البحث بالأصالة، والجدّة، والموضوعيّة.
- أن يراعى في البحث المنهجيّة العلميّة، وأن يلتزم صاحبه بالأمانة العلميّة.
- أن تكون إحالات البحث وهوامشه في نهاية البحث.
- لا تدع فراغا (Espace) قبل الفاصلة والنقطة، بل بعدهما، ولا تدع (Espace) بعد الواو.

- مع إرفاق البحث بملخّص بالعربيّة يُرسل البحث في شكل ملف (word) عبر البريد الإلكترونيّ للمجلّة: (**majalatalkalim@gmail.com**)، وآخر بإحدى اللّغتين الفرنسيّة أو الإنجليزيّة.
- تخضع المقالات جميعها للتّحكيم من قبل هيئة علميّة متخصّصة في سريّة تامّة.
- **البحوث المنشورة تعبّرعن آراء أصحابها، ولا تعبّرعن رأي المجلّة.**
- لا تردّ المقالات لأصحابها نشرت أم لم تنشر.
- يرفق الباحث مقاله بملخّص عن سيرته الذّاتيّة.
- للمجلّة حقّ التّصرّف في ما له علاقة بالمنهجيّة العلميّة للمقال.

محتويات العدد 02

الاقتتاحية			
أثر الانزياحات في تنشيط اللّغة السّرديّة الاستعارة واللّغة، والإبداع	أ.د عبد المالك مرتاض	جامعة أحمد بن بلة وهران 1	**04**
الخصوصيات اللغوية للهجة وهران	أ.د. عبد القادر شارف	جامعةحسيبة بن بوعلي/الشلف	**08**
التفاعلات اللغوية في الخطاب الصحفيّ الجزائريّ	د. محمد بسناسي	جامعة ليون - فرنسا	**19**
ضمائر الرفع المتصلة في ديوان العصف المأكول دراسة دلالية	د. إبراهيم أحمد سلاّم الشيخ عيد	جامعة الأقصى- غزة/فلسطين	**42**
تمظهرات الأواصر الإنسانية بين تعددية العلاقات الانثوية والذكورية من منظور القصص الشعبي	د. عائشة واضح	المركز الجامعي أحمد زبانة/غليزان	**81**
أسماء الشوارع بمدينة وهران، مقاربة سوسيولسانية	أ. هدية صارة	crasc	**99**
المعجم الصوفي والدلالي في قصائد سيدي لخضر بن خلوف المستغانمي	د.حمو عبد الكريم	وهران	**114**
حياة سيد واضح رشيد الندوي وإنجازاته الادبية	د. محمد راشد الندوي	جامعة حيدرآباد/الهند	**138**
إحياء التّراث الصوفي واللغوي الجزائري المخطوط والمجهول	أ.معاشو بو وشمة	المركز الجامعي/ميلة	**158**
سوسيولوجية الاسطورة الامازيغية في الجزائر، أنزار طقس الاستمطار أنموذجا	د.سالم بن لباد	جامعة البويرة/الجزائر	**171**
التّحوّلات الصّوتيّة في الصّيغ الإفراديّة وآثارها الدلاليّة	الباحث تازغت بلعيد	جامعة أحمد بن بلّة وهران1	**179**
الخصائص اللغوية للهجة أولاد إبراهيم- ولاية سعيدة	د. مسعودة مرسلي	المركز الجامعي تسمسيلت	**190**

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية

نقدّم مجلّة (الكلم) إلى القرّاء الكرام، مستلهمين قوله تعالى: (إليه يَصْعَدُ الكَلمُ الطَّيّبُ) وكلّنا أمل، في أن يحظى هذا العدد برضى القرّاء، ويتلقّى توجيهاتهم وإرشاداتهم، وأن يلفت انتباههم إلى ما احتوت عليه موضوعات المجلّة من مقالات، في مختلف المستويات اللّسانيّة، والموضوعات الأدبيّة، والمجالات الاجتماعيّة.

وإنّ ما في هذا العدد من مقالات، انصبّ على إنجازها مختصّون، ودعمها محكّمون، وقد روعي فيها، أن تكون لها أبعاد فكريّة، وخلفيّات اجتماعيّة، وظلال إنسانيّة.

ومبتغى هذه الدّوريّة، نصف الحوليّة، . بعد صدور العدد الثّالث . في موضوع اللّهجة واللّهجات، أن تقيم العلاقة الوظيفيّة، بين أصالة التعبير الفصيح، والمنطوق اللّهجيّ النّظيف، وأن تصنّف الغريب والدّخيل، وأن تضع كلاّ منهما في موضعه، وتردّه إلى أصله وأصوله. وشعارنا في مجال اللّهجة، يسعى إلى تحقيق مستويين: أوّلهما تنقية اللّهجة، وثانيهما ترقيتها. وحول التّنقية والتّرقية، تتحرّك جميع موضوعات المجلّة.

وممّا نأمله من كلّ مشارك في هذه المجلّة، أن يجمع قواه ويحصر إنجازه في المستويين المذكورين. تنقية وترقية، مع تنويع في كيفيّات الإنجاز، كالوصف المفيد في مدخرات المجلّة، والتّحليل الموجّه إلى كيفيّات التّعامل مع اللّهجة، والتّعليل المدبّر في التّفكير اللّهجيّ.

وممّا لوحظ عن جذور التّعبير اللّهجيّ وأصوله في الجزائر، أنّه تتجاذبه مرجعيّات عديدة؛ أوّلها العربيّة، وهي الفاعل البالغ التّأثير في النّطق والأداء، صوتا ومفردات، وتراكيب، وأساليب. ثمّ الأمازيغيّة بكلّ أبعادها التّاريخيّة والاجتماعيّة، وتلويناتها الصّوتيّة، وإيحاءاتها اللّفظيّة. وعددها كثير. ثمّ اللّغة التّركيّة بمفرداتها؛ وتراكيبها في مثل: (بايلك، وقهواجيّ وخزناجيّ) والفرنسيّة بتوغّلها في طبقات المجتمع وتعابيره عن حاجاته. وهي كثيرة

أيضا، مندسّة في المفردات والتّراكيب، في مثل: (مرسوات، وطاكسيّات وشامبرات) ثم الإسبانيّة، وبعض الشّذرات من لغات عالميّة كالهنديّة، والباكستانيّة، والفارسيّة، والعبريّة، وغيرها، ويشيع هذا في أسماء الأعيان بخاصّة.

وباعتماد المسموع من اللّهجات، وملاحظة وظائفها وتوظيفها في مجالات الحياة، وبمحاولة التّصنيف حسب التّوظيف، والاكتمال في مجالات الاستعمال، نرسو على ما هو عمليّ، وظيفيّ، فاعل في مجالات الحياة، ثمّ منه تكون المنطلقات نحو الغايات.

هذه إلمامة بمجلّة (الكلم) منهجا، ومادّة، وموضوعا، ومسارا، ومعالم، وغايات، وأهدافا، وعلى المشاركين اعتمدنا في إنجاز الأعمال، وعلى الله توكلنا في كلّ حال.

هيئة تحرير المجلّة.

تمظهرات الأواصر الانسانية بين تعددية العلاقات الأنثوية والذكورية من منظور القصص البطولي الشعبي

د. عائشة واضح

المركز الجامعي أحمد زبانة - غليزان

الملخص:

نريد من خلال هذه الورقة العلمية أن نبرز شبكة العلاقات الاجتماعية بين المرأة والرجل من خلال قصص البطولة الشعبي، الذي تم جمعه من أفواه الرواة والمداحين في التجمعات الشعبية كالأسواق والوعدات وكذا من أفواه الشيوخ والعجائز في مختلف المناسبات. وتهدف هذه الدراسة إلى إبراز صورة المرأة ومكانتها ونظرة المجتمع المحلي لها، من خلال النوع من قصص الشعبي الجزائري. ولتحقيق هذه الأهداف قمنا بإتباع الطريقة المنهجية التالية:

-جمع وتصنيف وتحليل المادة القصصية المدروسة.

-تحليل القصص البطولي ومحاولة الكشف عن صورة المرأة، والمكانة التي تحتلها في قصص البطولة الشعبي، من خلال شبكة العلاقات القائمة بينها وبين الرجل في إطار الأسرة.

الكلمات المفتاحية: المرأة، الرجل، القصة الشعبية، العلاقات الاجتماعية، قصص البطولة الشعبية، المكانة.

تمهيد:

في خضم تعدد التيارات الفكرية التي لم ترس بعد عند نظرة محددة اتجاه المرأة وخصوصا العربية والجزائرية على وجه التحديد، التي طالما قيل- إن صح القول- حوصرت بنظام بطريكي[1]، الأمر الذي أملى بإلحاح التطرق إلى بعض هذه النظريات المؤسسة لهذا النمط البحثي من خلال القصص البطولي الشعبي المتداول بالشمال الغربي الجزائري، والذي يعد الوعاء الحامل والموثق لتاريخ المرأة ومكانتها. وانطلاقا من هذا يمكن طرح التساؤل الآتي:

فيما تكمن صورة المرأة ومكانتها في مجتمع الدراسة من خلال قصص البطولة الشعبي؟

ومما لاشك فيه رسوّ منظري علم الاجتماع عند وجود علاقة تبادلية بين التحيزات الثقافية والمبادلات الاجتماعية، وهذا ما أدلى به مجموعة من المؤلفين لكتّاب نظرية الثقافة في أن "كل منهما تتفاعل مع الأخرى وتقويها، بحيث أن الالتزام بأنماط معينة للعلاقات الاجتماعية ينجم عنه طريقة متميزة لرؤية العالم، وأن هذه الأخيرة بطريقة معينة تبرز نموذجا منسجما للعلاقات الاجتماعية[2].

انطلاقا من هذا القول يتجلى لنا صيغ متعددة للعلاقات المتبادلة المرأة والرجل في إطار تلك الأواصر الأسرية الممتدة من بداية الخلق، تبرز معادلة يجتمع فيها علامات من الاستفهام والتعجب، كانت ولا تزال فيها- المعادلة- المرأة عنصرا أساسا يحضر وبقوة في عديد من المواقف، أكثرها ما يتجلى في علاقتها مع الرجل- الزوج- الأب- الأخ ... "فهي عنوان كبير لإشكاليات التقدم والتخلف والتطور والارتقاء"[3]. ولقد قدم لنا الرواة عديد العلاقات بين المرأة والرجل، والتي تتضح فيما يلي:

العلاقات الأسرية:

تعتبر الأسرة اللبنة الأولى لتأسيس المجتمع، ولهذا عني علماء الاجتماع بها وأولوها بالغ الاهتمام من خلال الطروحات العلمية المكثفة، هذا لأنها تنهض على شبكة من العلاقات التفاعلية، المتمثلة بين الزوج والزوجة، الآباء والأبناء.... ومن هنا لزاما علينا استحضار أفكار مالك بن نبي، والذي يرى أن اجتماع الأشخاص في أي ظرف وفي أي مكان هو التعبير المرئي عن هذه العلاقات في مجال معين من مجالات النشاط الاجتماعي، ومنه التكوينات المجتمعية والعائلية والأسرية، فلا يمكن تأدية عمل متجانس ومميز دون شبكة العلاقات الضرورية[4]. وعند مقاربتنا للمتن القصصي، وجدنا أن الأسرة فيه تندرج تحت أنماط ثلاث من العلاقات:

أ- **علاقة زوجية:**

لا مندوحة من الاعتراف أن العلاقة الجامعة بين المرأة والرجل في إطار الزواج هي المؤسسة لباقي العلاقات "الأمومة- الأبوة- الأخوة ..." ويرى برنار Bernard Barbar أن الزواج علاقة مستمرة مقبولة اجتماعيا بين رجل وامرأة أو أكثر، وهي تسمح بالعلاقات

الجنسية بغرض الأبوة، ويعد الزواج نمطا خاصا من العلاقات المقبولة بالمجتمع، ويتم وفقا لمعايير وضوابط معينة، ومن الممكن أن تنتهي هذه العلاقة تحت ظروف خاصة[5]، فالزواج أمر لا يمكن الاستغناء عنه كحقل لتنظيم العلاقات الجنسية والإنسانية، على النحو الذي يضمن الاستمرار ويحقق الإئتلاف، ويدعم الشعور بالمسؤولية الأخلاقية والإجتماعية، ويجسد القيم الإنسانية النبيلة[6].

وعليه أسفرت الدراسة إلى تحديد ماهية (أنماط) العلاقة الزوجية من خلال القصص الشعبي بالشمال الغربي الجزائري: علاقة مماثلة- علاقة هيمنة- علاقة تكامل- علاقة صراع وعلاقات زائفة.

1- علاقة مماثلة Analogy:

التوافق والتشابه وتعني المشاكلة والموافقة والمشابهة[7]. والتماثل هو إتحاد الشيئين في النوع، أي في تمام الماهية، فكل إثنين إشتركا في تمام الماهية فهما متماثلان[8].

فما هي تجليات هذه العلاقة؟

ما هو مفروغ منه لدى منظري علم الاجتماع والمختصين في القصص الشعبي أن مظاهر أية علاقة زوجية تكون بمعالجة الظاهرة، أو طرح النموذج على محك الدراسة والتأويل، وأسمى النماذج المتداولة ما كانت مستوحاة من القرآن القرآني، ولو أنه طرأ عليها تغييرات من قبل الرواة تشتمل على إضافات عادية في صلب العجيب، لخلق جو من الدهشة والغرابة وشد انتباه المتلقي، فكان من بين تلك النماذج "قصة بلقيس مع سيدنا سليمان"[9]. تمثلت تلك التحويرات والإضافات القصصية الشعبية في أنه ورد على ألسنتهم- الرواة-أن بلقيس من أم جنية وأب إنسي حاكم لمملكة سبأ، وبعد موته رغبت في أن ترث العرش الملكي، إلا أن قومها رفضوا ذلك على أساس أنها امرأة، ونصبوا رجلا آخر طغى أثناء حكمه واستعلى وكانت رغبته جامحة في الزواج منها، وبما أن للمرأة نصيب وافر من الفطنة والدهاء، استغلت هذه الفرصة ووافقت على الزواج منه، ثم هيأت له بحنكتها مجلسا للخمر والسهر ليلة الدخلة، فشرب حتى الثمالى، في هذا الحين قطعت رأسه ووضعته أما باب القصر لتبرهن لقومها عن مدى استحقاقها للحكم يقول الراوي: "دَارَتْ لُو حِيلَة وَغْرَاتُو بَزَّوَاجْ لِّي كَانْ يَحْلَمْ بِيهْ، بْغَى يْطِيرْ مَلْفَرْحَة مِينْ سْمَعْ هَاذْ لْهَدْرَة وَنْهَارْ دُخْلَتَهْ شَرْبَاتُو شْرَابْ حَتَّى مَاعْرَفْشْ رَاسُو مَنْ كَرْعِيهْ، وْمَنْ بَعْدْ قَطْعَتْلُو رَاسُو وْحَطَّاتُو عَنْدْ لْبَابْ

تَـاعْ لْقَصْـرْ"[10]. وهـذا ماحـدث، فقـد تربعـت على العـرش وخلصـت قومهـا مـن اسـتبداد الطاغية، فحكمت بلادها "بالعدل وحسن التدبير والحكمة والقوة من غير عنف واللين من غير ضعف ، فهي مرهوبة الجانب"[11]، وقد عهدها قومها بأنها امرأة لا تستند في حكمها على القرارات الذاتية، وإنما عرفت بالشورى في تيسير أمور المملكة، والدليل في قول الراوي: " كِي قْرَاتْهَا، صَابَتْهَا مَنْ عَنْدْ سِيدْنَا سْلِيمَانْ وْفِيهَا بَسْمَ الله، وِيْقُولْ لْهَا فِيهَا بَاشْ تْشَهَّدْ قْبَلْ مَا يْجِي يُـومْ وَتْحُـطْ فِيـهْ سْـلَاحْ، شَـاوْرَتْ قَوْمْهَـا قَـالُو لْهَـا: "حْنَـا قْـوَى مَنُّـو، وَلّي تْقُـولِي عْلِيـهْ نْدِيرُوهْ"[12].

وفي هذا المقام لزاما علينا التنويه إلى الهدهد كان سببا في تأسيس علاقة الملكة بسيدنا سليمان- عليه السلام- وأمام ما عرض عليها أرادت أن تختبر صدق هذا الملك-رسول من الله- فأرسلت إليه بهدايا لتعرف إن كانت غايته إدعاء النبوة أم نبيا مرسلا، فأملت عليها نفسها أن تحط الرحال بقصره، وحينها أيقنت صدق نبوته لما رأت من قدرات لم ولن تؤتى إلا لنبي من الأنبياء، ليأتي دوره في امتحانها بعد أن شوهت الجن صورتها عنده، حيث شبهوا ساقيها بحافري حمار لكثافة الشعر بهما، ونعتوا عقلها بالبلادة أحيانا وبنوع من الغباء أحايين أخرى، وما هذا إلا خوفا من أن يتزوجها سيدنا سليمان- عليه السلام- على أساس أن أمها جنية فتفشي إليه أسرار عالمهم ويبقوا في العذاب المهين.

من هنا ارتأى أن يتأكد من صحة ما ورد إليه عنها، فجيء بعرشها قبل قدومها، وهيء لها بساط زجاجي تجري من تحته المياه والأسماك. عندئذ تأكد من عدم صحة الإدعاءات التي نسبت إليها، بعد أن اختبر فطنتها لحظة رؤيتها للعرش، إذ لم تنف ولم تجزم بأنه عرشها، وبهذا تخلصت من المأزق. كما تيقن من أن ساقيها من أجمل الناس ساقا بعد أن كشفت عنهما أثناء عبورها للبساط الزجاجي.

أمام ما لاحظته من قدرات ناذرة ومذهلة، أدركت ببصيرتها أن هذا الأمر يفوق قدرات البشر وأنه مؤيد من لدن رب ومالك عظيم، سلمت أمرها لخلقها طوعا وأسلمت مع قومها وتزوجت من سيدنا سليمان- عليه السلام.

كانت "بلقيس" حكيمة، "والحكيم هو الشخص العاقل الذي يرجح الأمور نحو النصاب بما امتلكه من خبرات عبر تجاربه في الحياة"[13]. إنها ملكة سياسية محنكة، وبقدر

ما تكتنز من صلابة فإنها تحمل في أعماقها معاني الأنوثة، فلقد أعجب بها سيدنا سليمان- من خلال القصة البطولية الشعبية.

لقد خلّد المخيال الشعبي ذكرى هذه الملكة في قصص الرواة، إذ كانت ولا تزال محل شد وانتباه ببإعجاب وإكبار لشخصيتها الفريدة "فمن عجائب هذه البلاد أنها أنجبت امرأة استفردت بذكاء أسطوري وعقل لا يساوي عقول حكماء اليونان عنده مثقال ذرة، تعجب من نباهتها خالقها ونوه بخطرها بارئها"[14].

انطلاقا مما سبق، تنجلي للمتلقي علاقة المماثلة بين الملكة بلقيس وسيدنا سليمان- عليه السلام- فهي ملكة ابنة ملك ومن أم جنية، وكذلك الحال مع سيدنا سليمان، فهو ملك ونبي وابن ملك ونبي أيضا، يحكم الجن، فكلاهما كانا في نفس المدرج من الملك والجاه، بل وأن الاسلام زادها رفعة وسموا، ذلك أن الله تعالى منّ عليها باتباع قومها دين الاسلام على يدها، نظرا لثقتهم بها إذ خلصتهم من براثين الشرك.

2- علاقة هيمنة: La Domination

إن مفهوم الهيمنة يتعدد بين مختلف المصطلحات "التسلط، الإكراه، الضغط..." وفي كل الأحوالهي فرض نظام غير مرغوب فيه على المهيمن عليه بشكل خفي أو ظاهر. والهيمنة تتضمن فكرة القوة[15]، وتعني أيضا السيطرة أو الإمتثال عن طريق القهر، فالأفراد الذين يمارسون القوة بعضهم على البعض الآخر، أي السيطرة، سواء باستخدام القوة الغاشمة، أو على أساس أن من تمارس معهم هذه القوة يتخيلونها بوصفها قوة شرعية[16].

إذن، فهي علاقة يتسلط فيها طرف على آخر لانعدام التكافؤ أو التفاهم بين الزوجين، ومن خلال التقصي لمتن الدراسة القصصي، تم العثور على نوعين من الهيمنة: "هيمنة ذكورية وأخرى أنثوية".

2-1الهيمنة الذكورية: La Domination Masculine

إن التلفظ بهذا المصطلح يومئ للمتلقي مباشرة بكل معاني تسلط الزوج على زوجته، ويتجلى هذا من خلال قصة "ذياب والجازية"[17]، في كل من شخصيتي "غانم وزوجته"، اللذان كانت علاقتهما علاقة الآمر والمأمور، وعند الوقوف على تجليات هذه الهيمنة، اتضح لنا صورتين: صورة الهيمنة- صورة الاستجابة. فالأولى برزت مع شخصية "غانم" شيخ قبيلة الهلاليين، الذي استخف بعقلها وقلل من شأنها، حيث أن الهلاليين عرفوا

باللبابة والحكمة، إلا أن زوجته كانت عكس ذلك، وحتى يتخلى عنها حبك لها خطة لاستدراجها نحو إنهاء العلاقة الزوجية، مفادها أن طرح عليها ألغازا وطالبها بحلها مع أخواتها، ووهذا ما ينجيها من الطلاق. يقول الراوي: "قَالْ لْمَرْتُو: نَعْطِيكْ ثَلْثَ لْغَازْ، يْلَا فَكِيتِيهُمْ وَلِّي لْدَارَكْ، وِيْلَا مَاطُقْتِيشْ رَاكِي حَارْمَة عْلِيَّ"[18]، وهذا يعد شكلا من أشكال الهيمنة الذكورية. أما الاستجابة للهيمنة، فقد تمثلتها الزوجة حين رضخت لتهديداته، فهي بهذا أتاحت له الفرصة أن يكون الطرف المهيمِن، وهي المهيمَن عليه، فجعلت من نفسها حقل تجارب الرجولة المفرطة باستسلامها وضعفها وامتثالها لكل قرارات زوجها، ويمكن إرجاع هذا إلى التنشئة الاجتماعية التي جعلت منها امرأة غير واعية بدورها وأهميتها في المجتمع، وهذه هي المشكلة الجوهرية في حياتها، إنها الاستلاب[19]، فالزوجة "تتبدى في أحاسيس مفرطة بالدونية واللامبالاة والقهر والضعف والقصور والسلبية والانهزامية"[20].

لقد كان بإمكان هذه المرأة أن تحظى بالمكانة المرموقة باعتبار أنها زوجة شيخ القبيلة وأما لابنه، إلا أنها لم تستثمر لا الموقع ولا اللقب، هذا لأن تبعيتها لزوجها خط لها مسارا حلزونيا أفضى بها إلى الاستكانة والاستسلام، "لقد جفف التقليد والاتباع نسغ الفكر والفعل فيها"[21].

إن القصة البطولية الشعبية هنا تدين الزوج المتسلط، وتنبه الزوجة من هذا الصنف الذكوري، لكن هذا النوع من النساء هن اللواتي أتحن الفرصة للرجل كي يتسلط، فوضعن أنفسهن في محك الانتقاد دون وعي منهن، فتحملن جزءا من مسؤولية تأخرهن عن مواكبة الركب الاجتماعي، وقد رجح البعض ذلك إلى تحيز العادات والتقاليد، لكن هذا الحكم ليس عامّا على كافة النساء، بل إن منهن من أثبتت ذاتها وفكرها وحضورها إلى جانب الزوج والقبيلة، وإلا فكيف نفسر المواقف الفعّالة لـ "الجازية" في نفس العصر والمجتمع؟

2-2الهيمنة الأنثوية: La Domination Féminine

ما هو متعارف عليه أن شكل الهيمنة يتجسد في- الهيمنة الذكورية- في المقابل عثرنا على شكل آخر من الهيمنة مستوحى من المتن القصصي الشعبي، إنها- الهيمنة الأنثوية- من خلال نموذج- "قصة آدم وحواء"[22]، على الرغم من عدم مطابقته لما ورد في القرآن الكريم- وهذا راجع لما أضيف إليه من محض مخيلة الرواة. فالمراد إذن من هذه الدراسة هو معرفة

نظرة المجتمع اتجاه المرأة من خلال ما أنتجه المخيال الشعبي، وهل هي فعلا المهيمَن عليها دائما كما نصت عليه النظريات الغربية[23]؟

لقد صوّرت لنا القصة الشعبية أول معصية في التاريخ تمت باتحاد إبليس، الحية، وبعدها حواء، التي عدت السبب المباشر في إخضاع آدم، فقد استغلت ألفته وأنسه بها وهددته بالفراق إن لم يأكل من الشجرة الممنوعة. فقد استدرجها إبليس بإيقاع المزمار لدرجة أنها استهوته فرقصت على أنغامه- ويرجح أن هذا التصور مردّه إلى الإسرائيليات- يقول الراوي: " وْقَوْدَاتُو وَدَّاتُو حَتَّى لْعَنْدْ "بْلِيسْ" وَبْقَاوْ يَسْتْغَلُو وْيَتْفَرْجُو وْ"حَوّا" عَجْبَتْهَا لْغَايْطَا، تْحَزْمَتْ و قَعْدَتْ تَرْقُصْ، وَهْنَا "بْلِيسْ" فْرَحْ"[24]، فكانت الخيط المباشر الذي استعمله ابليس حتى يحقق مبتغاه وينتقم ممن كان السبب في طرده من الجنة، فقد هددت حواء آدم بالفراق إن لم يأكل من الشجرة الممنوعة: "قَالَتْ لُو: يْلَا مَا كْلِيتْهَاشْ عْلَى جَالِي نَعَّرْفَكْ بَلِّي مَا تَبْغِينيشْ، وَنْرُوحْ وَنْخَلِيكْ وْنَحْلَفْ مَا دُّورْشْ بِيَ". ومن ثم كانت هذه هي الخطوات الأولى لوقوع "حواء" في شباك إبليس والذي بدوره استعملها لتهدد آدم بالفراق إن لم يستجب لطلبها، فوقعت وإياه في معصية الإله.

فالعلاقة بين الزوج وزوجته تدخل في إطار العلاقة العاطفية، والتي من أشكالها المودة والأنس والألفة والمحبة، وقد تصل في الأخير إلى العلاقة الجنسية. والقصة في العلاقة بين "آدم" و"حواء" لم تفصح على أي أشكال الفراق تقصد "حواء"، لكنها هيمنت عليه من خلال تهديدها له بالفراق إلى الأبد فهذا الفراق يدخل ضمن العلاقة العاطفية والتي قد تكون فراق الأنس والحبيب، فراق المحبة والألفة وبالتالي لا يقوى "آدم" على فراق نصفه الثاني، وقد عاش في الجنة قبل أن تخلق "حواء" وحيدا مستوحشا، حتى خلق الله له "حواء" فآنسته وبددت وحشته، رغم أنه كان في الجنة، لأنه اجتماعي بطبعه فصار "آدم" عاجزا عن رفضه لطلبها وامتثاله لأوامرها.

وخلاصة القول أنه ثم العثور في المتن القصصي في إطار العلاقات الزوجية هيمنة ذكورية، وهيمنة أنثوية، فهي تدين في القصة الأولى الرجل وتسلطه على المرأة وهيمنته عليها، وتدين في القصة الثانية المرأة وهيمنتها على الرجل باستخدامها وسائل الإغراء والفتنة، لنتوصل في الأخير إلى أن المرأة في منطقة البحث من خلال عينة قصص البطولة الشعبي الذي تم جمعه غير مُهَيْمَنْ عليها إلا فيما نذر، والشاذ لا يقاس عليه.

3- علاقة تكامل:

يرى أحد المفكرين أن العلاقة التي تجمع أفراد الأسرة هي علاقة شراكة، والشراكة هي تكامل للأدوار داخل الأسرة عبر الشعور بالمسؤولية المشتركة والالتزام المشترك والتفاعل الإيجابي من أجل تحقيق أهداف مشتركة ترتبط باستمرار الأسرة في الحياة كجماعة اجتماعية . فالمرأة والرجل ما هما إلا وجها الإرادة الإنسانية، فأينما كان هناك سعي وكفاح وإبداع، فلابد من تعاون بين المرأة والرجل[25].

وقد أشارت نظرية التكامل التكامل "R. Winch" أن الرجل يختار زوجته إذا توا فرت فيها سمات تحقق له إرضاءات معينة وتكمل ما لديه من نقص[26]. أي كل منهما يكمل الطرف الآخر. وما يميز هذه النظرية هو أنها توضح هذه الرابطة الزوجية وتجعل منها علاقة أفقية بين الشريكين تم صياغتها في ضوء الاحتياجات التكاملية للشخصية.

ومما يجلي طبيعة هذه العلاقة هو ما ذهب إليه "وينش" في أن الحب ما هو إلا تعبير عن عاطفة إيجابية لشخص معين يتوجه بها إلي شخص آخر، يرى فيه أنه يتمتع بصفات شخصية تحظى باحترامه وترفع مقداره وقيمته عنده، ويشعر أن هذه الصفات تكمل حاجات أساسية لديه. ولعل هذا المنظور التكاملي هو الذي جعل بعض الناس يطلقون علي المرأة النصف الآخر المكمل للرجل. وهكذا فإن العلاقة بينهما تكون على أساس التكامل[27].

وتأسيسا لما تقدم، فالمتن القصصي قيد الدراسة يحفل بقيم التوازن بين الزوجين وما يترتب عنه من تحقيق الأمن والاستقرار، لتؤكد لنا بذلك قيمة من قيم المجتمع الذي يحافظ على تماسكه ويثبت به دعائمه، "فالزواج رابطة مقدسة تقوم على المعاني الروحية والعاطفية أكثر ما تقوم على أي معنى آخر، وهو عقد لا يراد به صفقة عابرة ولا أمر فتي سريع الزوال، بل هو عهد يقوم على اشتراك الطرفين في الحياة في شركة يراد بها الدوام والاستقرار"[28]. وقد لا تتحقق هذه الشراكة والتوازن إلا من خلال مبادئ ترسم نمط العلاقة بين الزوجين"[29].

إلا أنه وفي هذا المقام لا يمكننا أن نورد كل القصص ذات الطابع التكاملي، وارتأيت أن أقتصر على قصة "ذياب والجازية"[30] هذه المرأة التي خلدها المخيال الشعبي من خلال قصص الهلاليين المتداولة في الغرب الجزائري عامة وبمنطقة البحث على وجه الخصوص.

فالجازية هي احدى و"الجازية" هي احدى نساء قبيلة بني هلال المعروفة بقوة الشخصية والجرأة وسداد الرأي في اتخاذ القرارات، تزوجت من "ذياب"، كانت تكتنفهما علاقة زوجية يسودها الحب والتعاون والمشورة في اتخاذ القرارات، أحبها حبا شديدا، وبادلته هي نفس الشعور، وعاشا حياة سعيدة في ظل قبيلتهما، إلى أن حلّ الجوع والقحط، فقررا الرحيل إلى حيث يوجد الكلأ والشعير. إلا أن هذا الرحيل ما فتئ أن أسفرعن طلب حكم البلدة "الخليفة الزناتي" من ذياب تزويجه بالجازية مقابل ذخيرة سبع سنوات من القمح. فأصيب الزوجان باحباط شديد، إلا أن هذه المرأة أطلت التفكير في الأمر ثم قبلت بالأمر وأقنعت زوجها أنها بأن القبيلة في هذه الآونة تحتاج إلى أن نضحي بعلاقتنا وعاهدته على أنها لن تمكّن الزناتي من نفسها، يقول الراوي: "فَكْرَتْ "لْجَازْيَة" فِي قْبِيلَتْهَا لِّي مَا شَافَتْشْ لْقَمْحْ مَنْ سَبْعَ سْنِينْ، وْبَلِّي رَاهَا قْرِيبْ تَهْلَكْ، وْقَالَتْ لْرَاجَلْهَا: " رَانِي مْوَافْقَة، بَصَّحْ نَحْلَفْ مَا نْخَلِيهْشْ يْمَسْ شَعْرَة مَنْ شَعْرِي"، وكان للزناتي ما طلب.

لم يكن من السهولة بمكان أن يتقبل كل من ذياب والجازية اقتراح الزناتي، لكنهم أدراكوا أن القضية أكبر من كل شيء، فضحيا بحبهما من أجل القبيلة، ذلك الحب الممزوج بالمشاركة اليومية في الآمال والآلام، وفي الأحلام والإحباطات على سواء[31].

ويظهر جليا أن العلاقة التي جمعت هذين الزوجين هي علاقة صداقة، حيث تعني هذه الأخيرة المحبة الحقيقية، وتعني الاحترام المتبادل القائم على التفاهم، فالزوج قد لا يستطيع أن يبوح بكل مكنونات قلبه لزوجته، ولكنه قد يقولها إن أحس أنها أصبحت صديقته، والعكس صحيح، فـ"الجازية" في حديثها مع "ذياب" أفضت له بموافقتها على اقتراح "الزناتي"، وأخبرته بكل ما تنويه تجاهه، وطمأنته على الوفاء لعلاقتهما الزوجية القوية. وهنا تفهّم موقفها وقدّر دوافع سلوكها ولم يسء فهمها.

إن هذه المرأة لم تنصبها القبيلة بطلة من بين النساء الهلاليات، بل أثبتت بطولتها بكفاءتها وجرأتها وقوة حضورها في مجتمعها، فجمعت بذلك بين الاستقلال الذاتي والوعي الجماعي.

لقد تحقق للهلاليين ما جاءوا من أجله إلى هذه المدينة الخضراء، أما "ذياب" الزوج المتيم، فقد عاش مضطربا لفراق حبيبته، وعند حلول موعد العودة بعث إليها بلغز ففهمت معناه، وقامت بالاحتيال على "الخليفة الزناتي"، وتمكنت من مصاحبته لمكان

زوجها وقومها، وما ان وصلت حتى قامت بخداعه مرة أخرى، ثم أعطته لغزا يصاحبه عند العودة وحده إلى القصر، يقول الراوي: " حَتَّى جَا نْهَارْ لِّي قَالْ فِيهْ "زْنَاتِي" لَلْجَازْيَة: "طَوَّلْنَا وَجْدِي رُوحَكْ نْوَلُّو لَدَّارْ"، رَدَّتْ عْلِيهْ "لْجَازْيَة": "هْبِيلْ بَنْ هْبِيلْ وْعَيْنِينْ لْهْبِيلْ كْبَارْ، رَحْلَتْ بِيهْ نَّاسْ رَبْعِينْ رَحْلَة وْيَحْسَبْ رُوحَهْ فَدَّارْ"، وقد أدى رفض الجازية للعودة مع الزناتي إلى استباك مرير وطويل مع زوجها إلى أن تمكن ذياب من القضاء عليه، وتم تنصيبه من طرف أهل البلدة حاكما عليهم، وجعل زوجته مستشارا له.

لقد كانت علاقة الزوجين علاقة موجبة، يلعب فيها كلاهما دورين متكاملين مشتركين، حيث شاركا معا في عودتهما إلى بعضهما البعض، وقد حصل لهما ذلك باتحادهما والحرص على علاقتهما الزوجية، التي كادت تنتهي لولا شجاعتهما وإصرارهما على اللقاء مرة أخرى. وهو ما جعل مكانتها تتحدد في ضوء مجتمعها الهلالي، فحق لها أن تكون سيدة النساء الهلاليات في ضوء إنجازها الشخصي، وما يميزها من قوة وجرأة وشجاعة وحسن تدبير وسداد رأي.

إن نمو أفق العلاقة المشتركة المتبادلة والموسومة بالتأثير الإيجابي بين المرأة والرجل، لا يمكن أن تسمو قبل أن يسمو وعيهما نحو حالة أرقى وأفضل، في فضاء مفتوح وعمل مكثف متجانس في الفكر والممارسة باتجاه التقدم.

وعليه فإن الرجل والمرأة يتشابهان ويتباينان، ويتآلفان ويختلفان، ويتحابان ويتعاديان ولكنهما يتعارفان ويكتملان، فالتكامل هو الأفق لعلاقة بينهما متوازنة مستقرة، تقوم على التبادل والتلاؤم، ولا تخلو من توافق وانسجام، والتكامل لا يكون إلا بين مختلفين، وكل عنصرين يتكاملان ينتج عن تكاملهما اكتساب كل منهما صفات لا تكون له بمفرده، مع احتفاظه في الوقت نفسه بالصفات التي ينفرد بها عن سواه... فلا كمال ينال دون تكامل[32] دون أن يكون بالضرورة تابع ومتبوع، فهو اعتراف ضمني بالفروق والاختلافات القائمة فطريا بين الجنسين بغرض التكامل لا التفاضل.

4- علاقة صراع:

هي علاقة زوجية غير منسجمة بسبب العوائق التي تنتصب بين الزوجين، وتتمثل في عدم استقرار المفاهيم المتحكمة في بنية المؤسسة الزوجية والبنية الثقافية والعقائدية للمجتمع، فعدم التوافق بين الشريكين في الأفكار والمعتقدات والمبادئ، بدوره يؤدي إلى

عدم نجاح العلاقة الزوجية، لتتحول الحياة بينهما إلى صراع، فلا يستطيع أحدهما أن يتنازل فيه للطرف الآخر عن توجهاته واختياراته، فتستحيل الحياة بينهما.

وانطلاقا من استقصاء المتن القصصي، تبرز بوضوح العلاقة القائمة بين السيدة "آسيا" وزوجها فرعون في قصة بطولية[33]، تقلدت فيها هذه المرأة دور البطولة، فكانت مثالا للمرأة التي عاشت حياة الرغد والرفاهية في علاقة زوجية مثلت فيها "الملكة" إلى جانب زوجها فرعون الذي نصب نفسه إلها على الناس، لقد عاشت نبيلة عزيزة كريمة مطاعة، لا يرفض لها طلب، ولايطال لها جانب، ذات مكانة عظيمة عند زوجها، ولولا ذلك لما استطاعت أن تربي موسى عليه السلام وهو رضيع، بعد أن أقسم أن يقتل كل صبي في البلدة، ولولا حبه لها لما أحجم عن قتله لما جذبه سيدنا موسى من لحيته وهو صبي، إلى أن عرفت هذه الملكة الحق على يد "الماشطة" وزوجها، بعدما دخلت عليهما وهما يصليان، فاندهشت ثم ما لبثت أن دخل الإيمان قلبها واستوطن، فأضاء فؤادها ونوّر بصيرتها، يقول الراوي: "وَحْدَ نّهَارْ دَخْلَتْ عْلِيهُمْ آسْيَا صَابَتْهُمْ يْصَلُّو، نْخَلْعَتْ، وْمِينْ كَمْلُو سَقْسَاتْهُمْ، خَافُو يْلَا تَفْضَحْهُمْ، قَالُو لْهَا: سُتْرِينَا، وْخَبْرُوهَا بَلّي رَاهُمْ يَعَبْدُو فِي رَبّي، عَرْفَتْ بَلّي هَاذَا هُوَ لْحَقْ، وْبَلّي كَانُو مَخْدُوعِينْ فِي فَرْعُونْ.... أَمْنَتْ بْرَبي، وْمَنْ بَعْدْ وَلّاتْ سَاعَة سَاعَة تْجِي عَنْدْهُمْ لَدَّارْ تَعْبَدْ رَبّي مْعَاهُمْ". فقد كانت سيدة ذات فطرة سليمة وعقل واع وقلب رحيم، فاستنكرت ألوهية زوجها الذي أصابه الجنون وسيطر على عقله، ولكنها ظلت تكتم إيمانها عن هذا المتجبر الذي جعل الجميع عبيدا له، فأصبح القصر في عينها موحشا مظلما بسبب طغيانه وجبروته، فأصبحت علاقتها تتسم بالقلق والتنافر والجفاء إنها تعيش في قصر يملؤه الشرك والكفر والبطش والاستبداد.

إن إدراك السيدة "آسيا" لقضية التوحيد جعل منها امرأة مختلفة، لقد عرفت الحق فأذعنت له، وأعرضت عن زوجها وكفرت به عندما رأته يعذب الماشطة وأبناءها وزوجها فأعلنت بذلك جحودها لدينه وانتماؤها لدين الماشطة وزجها، يقول الراوي: "كِي شَافَتْ "آسْيَا" شّي لّي دَارَهْ رَاجَلْهَا كَفْرَتْ بِيهْ فِي وَجْهُو وْقَالْتْ لُو: نْتِ مَارَاكْشْ رَبْ بَاشْ تَنْعْبَدَ، نْتَ كِيفَكْ كِيفْنَا". لقد أعرضت عن الدنيا بكاملها من جاه ومال وفتنة ونعيم، لأن قلبها يتحرق إيمانا بالله عزوجل.

احتدمت النيران في قلب زوجها المحب وجن جنونه ايتنكارا لجحود زوجته وإعراضها عنه، يقول الراوي: "نْخْلَعْ فَرْعُونْ كِيفَاشْ هَاذْ لْهَدْرَة تْجِي مَنْ عَنْدْ مَرْتُو، قَالْ لْهَا: رَاكِي عَارْفَة شَارَاكِي تْقُولِي؟ قَالَتْ لُو: وَاهْ دَّاهَا وْحَطْهَا فَصَّحْرَا، وْقَالْ لْلْجُنُودْ: فَوْتُو عْلِيهَا زّحَى بَالَاكْ تَتْكَاكَى وْتَرْجَعْ لَعْقَلْهَا"، لكن المرأة القوية الجريئة رفضت أن تستسلم لهيمنته وتسلطه عليها، وبقيت في العذاب حتى فاضت روحها إلى بارئها. يقول الراوي: "بَصَّحْ هِيَ قَّعْدَتْ شَادَّة فِي هَدْرَتْهَا وْتَدْعِي فِي رَبِّي بَاشْ يْخَفَّفْ عْلِيهَا، وْيَدِّي عْمُرْهَا وْقَّعْدَتْ عْلَى هَذَاكْ لْعَذَابْ حَتَّى لِّي لْقَاتْ مُولَاهَا".

في خضم هذا العتو والجبروت، صبرت آسيا واحتسبت، لما تملكه من إيمان قوي يزلزل الجبال وتحدّت رجلا طاغية خضعت له أمم بأكملها، وذلّت له رقاب الأكابر من الرجال فتمردت عليه وأبطلت ألوهيته، ورفضت فرعنته وتسلطه، معرضة عن العلاقة الزوجية وعن الحميمية التي كانت تربطها به مضحية بالجاه والسلطان والمال من أجل ما عند الله فأعلنت بذلك انسجامها مع دينها الجديد، ورفضت أي نوع من أنواع الازدواجية.

إنها علاقة زوجية متناحرة متناقضة، لا مجال للتوافق بين طرفيها، ويعود السبب في ذلك إلى العقيدة الجديدة التي اعتنقتها السيدة "آسيا" زوجة الإله المزعوم، فذاقت من أجلها كل أنواع العذاب والتنكيل. إلا أننا لا نعثر في هذه العلاقة على صورة لاستسلام المرأة ورضوخها لقهر زوجها وهيمنته عليها، بل كانت قوية فقاومت ورفضت الذل والاستسلام للباطل إلى أن لقيت حذفها، فاستحقت أن يخلدها كل من القرآن الكريم وكذا المخيال الشعبي لمنطقة البحث على اعتبار أنها نموذج يمكن الاقتداء به.

5- علاقات زائفة:

فمنذ البداية تتكشف أمامنا نموذج لعلاقة زوجية مأزومة ومشبوهة، ونفوس مشبعة بحب المعمر توشي بهشاشة المرجعية الوطنية والدينية- قلما نقع في المتن على مثل هذه العلاقات إنها قصة الفدائي النبيل "الجيلالي القطاع"[34]، هذا الاسم الذي نعتته به فرنسا للترهيب منه ذلك الفتى الباسل الذي أرعب فرنسا فحاولت القوات المستعمرة القضاء عليه بشتى الطرق حتى وصل بهم الأمر إلى أن وظفوا ابنة عميل خائن للوطن من أجل إغرائه والقضاء عليه.

هي المرأة العميلة الخائنة لوطنها، المتعاونة مع أبيها للقضاء على المجاهدين والثوار وإفشال الثورة المجيدة، المتواطئة مع المحتل الغاصب لوطنها. لقد أوهمت "الجيلالي" بأنها هاربة من أبيها الذي أراد أن يزوجها لفرنسي مستعمر لبلدها، فآوها عند أمه، ثم أغرته مرة أخرى بإبداء حبها له وتوددها إليه وتقربها منه، حتى مكنته من نفسها، فاضطر للزواج منها. يقول الراوي: "وَحْدَ لْقَايَدْ خَايَنْ لَبْلَادُو، وْكَانَتْ عَنْدُو بَنْتْ شَابَّة بَزَّافْ، تْفَاهَمْ مْعَاهَا بُشْ بَاشْ يَخَدْعُو لْجِيلَالِي ... رَاحَتْ لْدَارْهُمْ وْدَارَتْ رُوحْهَا هَارْبَة مَبُشّْهَا لِّي بْغَى يْزَوَّجْهَا مَنْ وَلْدْ لْكُولُونَالْ بَسِّيفْ عْلِيهَا، أَمَّنْهَا لْجِيلَالِي وْخَلّاهَا عَنْدْ مُّو، وْمَنْ بَعْدْ وَلَّاتْ تْلَزْلُو وْبَيْنَتْ لُو بَلِّي رَاهِي تَبْغِيهْ، حَتَّى مَدَّتْ لُو رُوحْهَا، وَهْنَا صَابْ رُوحُو لِيقْ يَزَّوَجْ بِهَا". فلغة الجسد هي الجزء الأهم من أي رسالة تنقل إلى المتلقي بواسطة الحركات والإيماءات وتعبيرات الوجه التي تصاحب الكلام، وتساعد كثيرا على فهم الرسالة من الشخص المقابل، وهي ليست غاية في حد ذاتها، بل وسيلة لتوصيل رسالة معينة، ولكن للأسف الشديد مأخوذة بشكل تقليدي أعمى، وهي لا تنسجم مع الواقع العربي فبدلا من أن تكرس المرأة جهدها لمواجهة الغزو الفكري للمستعمر، أصبحت تخاطب العقول بلغة الجسد. وكثيرا ما تحدث وعاظ السلاطين العرب عن المرأة، ودبجوا فيها الكتب والمقالات، ولكن لحد الآن لم يتوصلوا إلى تحديد دقيق لدور المرأة في المجتمع، لأسباب أهمها العمالة للهيمنة الاستعمارية، التي تخطط لإبقاء الشعوب متخلّفة، بالتالي استطاعت العميلة الخائنة أن تجعل منه صيدا سهلا للمحتل حتى يقضي على حياته، فهو الوطني المخلص الذي شكل لهم العقبة الدؤوب من أجل القضاء على روح الوطنية لأبناء الوطن المخلصين وإذلالهم.

تمّ زواج هذه المخادعة من "الجيلالي" الذي كان يحسن الظن فيها، وكان زواجها منه بنيّة الإيقاع به في الكمين الذي نصبته له بتحريض من أبيها الخائن. لكنها وبعد زواجها منه كان من المفترض أن تحافظ على العلاقة الزوجية والرباط المقدس، وتتنازل عن الفكرة التي تبنتها، أليس للمكر والخداع حدّ يمكن التوقف عنده؟ ألم يكن لها ضمير يؤنب وقلب يندم؟ لقد واصلت مهمتها بإتقان، واستطاعت أن تصل إلى هدفها ومبتغى المحتل الغاصب الجبان منها، بعد أن أعيته مطاردة هذا الفدائي النبيل، الذي كان يدافع بكل ما أوتي في سبيل وطنه وكرامة شعبه. يقول الراوي: "وَحْدَ نْهَارْ جَا بُشّْهَا مْعَ لْعَسْكَرْ عَنْدْهُمْ، وَدَّاوْ قَاعْ نَّسَا حَتَّى هِيَ مْعَاهُمْ، بَاشْ مَا تَنْكْشَفْشْ، وْخَلَّاوْ لَلْجِيلَالِي بْرَيَّة كَاتَبْ فِيهَا بَلِّي بَنْتُو "امَرْةَ

لْجِيلَالِي" بَاغِي يْعَلَّقْهَا عْلَى لِّي هَرْبَتْ مَنْ عَنْدُو وَتْزَوْجَتْ بَلْقَطَّاعْ، وَنِّسَا لُخْرِينْ نَعْطِيهُمْ لَلْعَسْكَرْ يَلْعْبُو بِيهُمْ....وَرَاحَتْ تْحَوَّسْ عْلَى لْجِيلَالِي فَلْجْبَلْ لِّي كَانْ مْوَالَفْ يَدَّرَبْ فِيهْ، حَتَّى لْقَاتُو يْنَقِي فِي سْلَاحُو وِيْوَجَدْ فِي رُوحُو بَاغِي يْطِيحْ عْلَى بُنِّيَّا وَلْعَسْكَرْ فَلِّيلْ، مَا خَلَّاتُوشْ وْقَالَتْ لُو: رْوَاحْ مْعَ لْفْجَرْ وَنَا نْحَلْ لَكْ لْبَابْ بَاشْ تْكَمَّلْ مْعَاهُمْ ... أَمَّنْهَا لْمَسْكِينْ، وْمِينْ جَا لْدَارْهُمْ كِيمَا قَالَتْ لُو طَاحُو عْلِيهْ لْعَسْكَرْ لِّي كَانُو يْقَارْعُو لُو وَبْدَاوْ يَطَلْقُو عْلِيهْ رْصَاصْ حَتَّى لِّي مَاتْ"، وهنا زغردت نساء المنطقة على الشهيد البطل الذي دوّخ المستعمر الفرنسي لولا أن تم خداعه من طرف "بنت الحركي" كما يقولون، وأنشدت تقول:

مَعْرِفَةْ رْجَالْ كُنُوزْ *** وْكِيدْ نْسَا مَا يَتَنْسَى

فْرَنْسَا تْخَافْ مَلْبْرُوزْ *** وْتَدْرَقْ خَايْفَة كَنِّسَا

تَتْمَنَى لْجَزَايَرْ تْفُوزْ *** وْهِيَ كَلَّفْعَة مَدْسُوسَة.

إن "الخيانة" لفظ ذا وقع قوي على النفس قبل الأذن ، فهي تؤدي إلى تدمير الثقة بين الأفراد والعلاقات فيما بينهم، بالإضافة إلى تدمير حياة الإنسان وإهانته وجرح مشاعره. أما "خيانة الوطن" فهي أعظم وأكبر مما تحتمله أي نفس ، ويكاد يجمع البشر على مقت الخائن، فكل فعل مشين يمكن للمرء أن يجد مبررا لفاعله إلا خيانة الوطن، مهما كان السبب الذي يدفع لهذا السلوك، فهو أبدا لا يشفع لصاحبه بيع وطنه، لهذا يغدو في عرفه خائنا[35].

لقد انتهكت هذه الزوجة قدسية الرباط الزوجي، فبرزت صورتها البشعة من خلال دورها المثبّط للنضال وحركة التحرر، ضاربة عرض الحائط بكل القيم والمثل العليا، مفتقرة إلى القيم الاجتماعية والأخلاقية في ظل غياب الوعي، وانتهكت حرمة الوطن الغالي ودنسته فكانت الخيط الموصل إلى هذه النتيجة المخزية، لأنها لم تع دور المرأة المواطنة في معركة التحرير، وضرورة ارتباطها بقضيتها وانتمائها لطبقتها وشعبها. وبرز من خلالها تناقض شخصية المحتل وعجزه وضياعه وراء محاولة القبض على الفدائيين والثوار، الذين جعلوه يستسلم ويخرج من أرضهم في ظرف سبع سنوات من الثورة والكفاح.

لقد كشفت هذه القصة عن نموذج المرأة الخائنة التي استقطبت كل القيم المنحطة في المجتمع: غادرة خائنة، ماكرة، باردة الاحساس والشعور، بشعة، عميلة للمستعمر، وغيرها من القيم السلبية، مما يجعلها عنصرا متماهيا مع الشر مدانا، ومصدر خطر على

المجتمع مهددا لقيمه النبيلة كالشرف والأمانة وحب الوطن والدفاع عنه. "والشعب يستغل حكايته في تأكيد تلك القيم تارة وإبراز العيوب الخلقية تارة أخرى"[36].

فالقصة الشعبية تحاول من خلال ما سبق، إبراز سلوك المرأة المشين ومواقفها السلبية التي تعيق مسير التحرر وكشفها وتعريتها، فما تفعله القلة القليلة لا يشين الكثرة، ولهذا لم يشغل رصد تلك العلاقات المزيفة حيزا هاما في دراستنا للقصص الشعبي إلا بمقدار ما يستفاد من دروسها، وذلك بقصد إدانتها والدعوة إلى تجاوزها والتحذير من فتكها، فهي حيث تشكل أداة هدم وخلخلة في استقرار الرجل والأسرة عموما. في مقابل زوجها "الجيلالي" الذي يعد أحد الأبطال الفدائيين الأغوار، الذين شهد لهم التاريخ والمخيال الشعبي بشجاعتهم ووفائهم وحبهم للوطن.

الخاتمة:

لقد كشفت لنا دراسة المتن القصصي البطولي بمنطقة الشمال الغربي الجزائري عن أنماط العلاقات بين المرأة والرجل في إطار الأسرة:

*علاقة مماثلة مثّلها سيدنا سليمان والملكة بلقيس.

*علاقة هيمنة ذكورية مثلها كل من "الشيخ غانم" وزوجته.

*علاقة هيمنة أنثوية في قصة "آدم وحواء".

*علاقة صراع وأخذنا نموذج: السيدة "آسيا" وزوجها فرعون.

*علاقة تكامل: اخترنا نموذج "الجازية وذياب".

*العلاقات الزائفة وتمثلت في قصة "الجيلالي القطاع"مع زوجته.

إن المواقف التي صورها المتن القصصي عن العلاقة الزوجية في هذا الفصل جاءت متباينة، فبعضها يعبر عن قوة الأصالة في العلاقة الزوجية وصدق المحبة، حيث أفصحت عن العاطفة الجياشة والحب الخالص بين الزوج وزوجته وحرصهما على الحياة الزوجية وتقديسها. وجاء بعضها الآخر يناقض تماما هذه الصورة، فيعتبر فيها الزوج زوجته ملك له يتصرف فيها كما يشاء ويتحلل منها متى أراد، واتسم بعضها بالصراع وعدم الاستسلام للرجل الطاغية المستبد، ورفضها أن تكون وسيلة لإشباع رغباته مستعملة في ذلك ذكاءها وفطنتها. واتسم البعض الآخر بالزيف والخداع والخيانة فجاءت منافية للقيم والأخلاق والحس والشعور.

وعليه فإن نظرية غلبة طرف على طرف غير موجودة إلا ناذرا، وهو ما يحيلنا إلى القول بأن ارتباط الرجل بالمرأة في إطار الزواج إنما هو اجتماع الأصل مع الفرع، وهذا الجمع يحقق السكينة والطمأنينة والمودة اللازمة لاستمرار الحياة بينهما. وقصص البطولة الشعبي يمنح هذه العلاقة طابعا إيجابيا، يعكس فيها كل المعاني النبيلة، وذلك عكس ما جاء في نظريات الهيمنة الذكورية والتي تؤكد بأن المرأة مضطهدة وخاضعة لسيطرة الرجل العربي بصفة عامة، والجزائري بصفة خاصة.

هوامش الدراسة:

[1]- البطريكية تعني الأبوية أو النظام الأبوي، هو نظام الأسرة التي يهيمن فيها الأب أو الأخ الأكبر، وتقوم على علاقات السلطة والهيمنة والتبعية ينظر. هشام شرابي، النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، بيروت- لبنان 1993، ص60.

[2]- ميشيل تومبسون وريتشارد إليس ووآرون فليدافسكي، نظرية الثقافة، تر. على سيد صاوي، سلسلة عالم المعرفة رقم 223 ،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1997، ص30.

[3]- غالي شكري، أزمة الجنس في القصة العربية، دار الشروق، القاهرة، مصر، 1991، المقدمة.

[4]- بن نبي مالك، ميلاد مجتمع- شبكة العلاقات الاجتماعية، تر. عبد الصبور شاهين، ط3، دار الفكر، الجزائر ، 1986، ص31.

[5]- شريف فاتن محمد، الرؤية المجتمعية للمرأة، دار الوفاء لدنيا الطباعة، الإسكندرية، مصر، 2007، ص287.

[6]- عيشور نادية، النظام الأسري بين أسس الاستقرار ومؤشرات الصراع، مجلة العلوم الإنسانية، منشورات جامعة منثوري، قسنطينة، الجزائر 2006، ص97.

[7]- هاشم ماهر خضير، المشاكلة في اللغة العربية، مجلة جامعة بابل، العلوم الإنسانية، مج18، ع3، 2010، ص1.

[8]- الموسوعة العربية، المجلد461.

[9]- ينظر. عائشة واضح، المرأة في قصص البطولة- دراسة تحليلية لنماذج من شمال الغرب الجزائري، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في العلوم، جامعة أبو بكر بلقايد- تلمسان، 2015/2014، الملحق ص234.

[10]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[11]- المرتضى بن زيد الحسني، قصة بلقيس مع نبي الله سليمان، مكتبة مركز بدر للنشر والتوزيع، ص3.

[12]- ينظر. عائشة واضح، مرجع سابق، ص235.

[13]- فايز وضاح الخطيب، الإعجاز القرآني في آيات قصة سيدنا سليمان مع ملكة سبأ، مجلة جامعة دمشق، مج 17، ع2، سوريا 2001، ص316.

[14]- المرتضى بن زيد، مرجع سابق، ص3.

[1] - Gustave Nicholas Fisher, La psychologie sociale, édition le seuil, 1997, P 121

[15]- جورد ونمارشيان، موسوعة علم الاجتماع، مج1، تر. محمد الجوهري. هناء الجوهري وآخرون، ط2، المجلس الأعلى للثقافة، 2007 ص،718.

[16]- ينظر. عائشة واضح، مرجع سابق، ص268.

[17]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[18]- زيتوني لطيفة، معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان 2002، ص22.

[19]- وطفة علي، المظاهر الاغترابية في الشخصية العربية، عالم الفكر، مج27، ع2، أكتوبر/ ديسمبر 1988، ص247.

[20]- عفيف فراح، الحرية في أدب المرأة، ط2، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، 1980، ص258.

[21]- ينظر. عائشة واضح، مرجع سابق، ص227.

[22]- أشهرها نظرية: بورديو بيار، الهيمنة الذكورية، تر. سلمان قعفراني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، 2009.

لبيض سالم، الجنوسة والنوع في الثقافة العربية، مجلة المستقبل العربي، السنة 30، ع 348، فبراير 2008.

نوال السعداوي، المرأة والجنس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت- لبنان 1972.

وكتابها: الأنوثة والذكورة والدين والإبداع، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت- لبنان 2014.

Mernissi, Beyond the Veil : Male- Famale Dynamics in a Modern Muslim Society, Combridge, Mass : Schenkman Publishing Co , 1975.

Ann Oakley, Sex, Gender, and Society, London Smith, 1972.

Héritier Françoise, Homme, Femme la construction de la différence, édition le pommier, Paris, 2005.

[23]- ينظر. عائشة واضح، مرجع سابق، ص227.

[24]- الساعاتي سامية حسن، المرأة والمجتمع المعاصر، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2007، ص76.

[25]- عبد العاطي السيد، حسين محمد حسين ، السيد الرامخ، محمد أحمد بيومي ، نادية عمر السيد ا رشد، علم اجتماع الأسرة، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، مصر،.2000 ، ص5

[26]- عبد العاطي السيد وآخرون، الأسرة والمجتمع، دار المعرفة الجامعية، 1998، ص37.

[27]- الصباغ موسى، القصص الشعبي العربي في كتب التراث، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، 2006، ص114.

[28]- البستاني محمد، الاسلام وعلم النفس، مجمع البحوث الإسلامية، 1992، ص93.

[29]- ينظر. عائشة واضح، مرجع سابق، ص 268.

[30]- خورشيد فاروق، عالم الأدب الشعبي العجيب، كتاب الهلال، ع 447، دار الهلال، القاهرة- مصر، 1988، ص29.

[31]- حرب علي، الحب والفناء، المرأة- السكينة- العداوة، ط2، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2009، ص58.

[32]- قصة "ماشطة بنت فرعون" ينظر. عائشة واضح، مرجع سابق، ص237.

[33]- ينظر. عائشة واضح، مرجع سابق، ص.281

[34]http://ahdmari.blogspot.com -

[35]- إبراهيم نبيلة، قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية، دار العودة، بيروت، لبنان، 1974، ص173.